تطبيق رقم 01

خطبة "طارق بن زياد"

1.نصّ الخطبة:

«أيها الناس، أين المفرّ؟ البحرُ من ورائكم، والعدوُّ أمامَكم وليس لكم واللَّهِ إلا الصدقُ والصَبْرُ. واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أَضْيَعُ من الأيتام في مَأْدُبَةِ اللِّئام، وقد اسْتَقْبَلَكم عدوّكم بِجَيْشِهِ وأَسْلِحَتِهِ، وأَقْواتُه موفورةٌ ، وأنتم لا وَزَرَ لكم إلا سيوفُكم ولا أقواتَ إلا ما تَسْتَخْلِصُونَه من أيدِي عدوِّكم، وإن امْتَدَّتْ بكم الأيامُ على افتقارِكم ولم تُنْجِزوا لكم أمراً ذهبتْ رِيحُكم، وتَعَوّضَتِ القلوبُ من رُعْبِها منكم الجَرَاءَةَ عليكم، فادفعوا عن أنفسكم خُذْلانَ هذه العاقبة من أمركم بِمُناجَزَةِ هذا الطاغية؛ فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة، وإنّ انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت، وإنّي لم أحذركم أمرًا أنا عنه بنجوة، ولا حملتكم على خطة أبرأ منها بنفسي، واعلموا أنّكم إن صبرتم على الأشق قليلا، استمتعتم بالألذ الأرفه طويلا، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فما حظكم فيه بأوفر من حظّي، وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان، من بنات اليونان الرافلات في الدر والمرجان، والحلل المنسوجة بالعقيان، المقصورات في قصور الملوك ذوي التّيجان، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عربانا، ورَضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا، ثقة منه بارتياحكم للطعان، واستماحكم بمجالدة الأبطال الفرسان، ليكون حظّه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة، وليكون فتحها خالصا لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم، والله تعالى ولّى إنجاذكم على ما يكون لكم ذخرا في الدّارين، واعلموا أنّي أول مجيب لما دعوتكم إليه، وأنّي عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله إن شاء الله تعالى، فاحملوا معي، فإن هُلكت بعده، فقد كفيتكم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه

وإن هلكت قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزيمتي هذه، واحملوا بأنفسكم عليه، واكتفوا إليهم من فتح هذه الجزيرة بقتله، فإنّهم بعده يخذلون»[1].

شرح المفردات الصعبة:

وزر: حمل تحملونه- **ذهبت ريحكم**: ذهبت قوتكم- **المناجزة**: سرعة المقاتلة والاشتباك.

ترجمة طارق بن زياد

هو طارقُ بن زياد، فاتحُ الأنْدَلُسِ. ولد سنةَ 50هـ، أصلُه من البربر، أَسلم على يد موسى بن نُصَيْرٍ ، فكان من أشدِّ رجاله، ولما تم لِموسى فتح طَنْجَةَ ولّى عليها طارقاً سنة 89هـ، فأقام فيها إلى أوائل سنة 92هـ، فجهّز موسى جيشاً قدره سبعة آلاف جنديّ معظمهم من البربر لغَزْو الأندلس وفتحِها، وولّى طارقا قيادتهم، فنزل بهم البحر واستولى على الجبل (جبل طارق) وفتح حصن "قَرْطَاجَنَةَ" ولما علم طارق بقدوم جيشٍ للأعداء كبيرٍ يقوده الملك "لُذَرِيقُ " طلب من موسى تعزيزا فأرسل له خمسةَ آلاف جندي، فأعدَّ طارق جيشه وألقى خطبته المشهورة وحارب الملك "لذريقَ " فقتله، ثم تَغَلْغَلَ في أرض الأندلس وافتتح "إشْبِيلِيَةَ" و"إستجَةَ" وأرسل من استولى على "قُرْطُبَةَ" و"مَالَقَةَ"، ثم فتح "طُلَيْطَلَةَ" عاصِمةَ الأندلس. تُوُفِّيَ طارقٌ بن زيادٍ سنة 102هـ.

مناسبة الخطبة:

قيلت خطبة "طارق بن زياد" في مناسبة حربية تاريخية من النّوع الحماسيّ أثناء فتح الأندلس (92هـ) هدفها الأساسي الحثّ على القتال والجهاد، والتّذكير بما وعد الله المقاتلين في سبيله من جميل الثواب، والتّرغيب في ما عرف عن خيرات الجزيرة وحورها الحسان، لبعث الحماس في نفوس الجند للانتصار على العدو.

[1]-أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص67.

تحليل الخطبة:

موضوع الخطبة الرّئيسي هو (الحثّ والتّحريض على الجهاد)، ويمكن تقسيمها حسب المضمون إلى ثلاثة مقاطع كالآتي:

1. المقطع الأول: (أيّها الناس أين المفرّ؟.....إلاّ وأنا أبدأ بنفسي):

وجّه "طارق" فيه الخطاب إلى جنوده، وقدّم فيه صورة عامة للظّروف المحيطة بهم، باعتبارهم رجال غزو يحاربون في أرض لا يعرفون معالمها، وهنا كان دور "طارق بن زياد" هو بعث الرهبة في نفوس جيشه وتحذيرهم من خطورة النتائج، وبالتّالي فقد جعل جنوده في موقف حرج لا مجال فيه إلاّ للموت والقتال إلى آخر نفس.

2.المقطع الثاني: (واعلموا أنّكم إن صبرتم على الأشق قليلا.....والله تعالى ولي إنجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدّارين):

في هذا المقطع ينتقل "طارق بن زياد" من أسلوب التّرهيب إلى أسلوب التّرغيب الّذي عمد إليه بشدّة ليبعث في الرّجال روح القتال، وحثهم على الحماس والصّبر والتّحلي بالشّجاعة، وتحمل مشقة الحرب للاستمتاع بلذّة النّصر.

3.المقطع الثالث: (واعلموا أنّي أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه.....فإنّه بعد يخذلون):

بعد أن تناول "طارق" جانب التّرغيب مركزا على الجانبين المادّي والمعنوي معا، انتقل إلى إبراز خطته الحربية الّتي وضعها في المعركة الّتي سيخوضها لفتح الأندلس والقضاء على العدو، وهي في الحقيقة خطّة انتصار بعمل بطولي تتخاذل بعده جميع قوى العدو، وتتراخى به عزائم المقاومين،

وقد أعلن عن خطته في اللّحظات الحاسمة قبل نشوب المعركة، ممّا يدل على حنكته وبعد نظره، ويمكن أن نعتبر هذا الكلام كلام العبقرية العسكرية والحربية.

وعلى العموم نلمس في هذه الخطبة الكلام الرّصين، والنّبرة الحازمة، والعاطفة الصّادقة، خاطب فيها القائد "طارق بن زياد" جيشه بأسلوب من يشعر بشعورهم، ومن يشترك في مأساتهم المصيرية بإيجاز وسهولة وبلاغة، هذا ما أحدث انفعالا وأثرا قويا في نفوس الجيش.